الْعُلَمَاءْ وَالابْتِلاَءْ
نَـصُّ كَلِمَةٍ أُلْقِيَتْ بِمَـدِيْنَةِ فُـوَّهْ (الْمُكَلاَّ)

تأليف

علي بن سالم بن يعقوب باوزير
غفر الله له ولوالديه

من منشورات المركز العلمي والدعوي
حضرموت . غيل باوزير . معيان الشيخ

منشوراتنا تطلب من مكتبة القدس
حضرموت . غيل باوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهداه .

أما بعد : فهذه كلمة كنت قد ألقيتها بمدينة فُوَّه ، مديرية المكلا ، بمسجد أبي بكر الصديق ، وذلك بتاريخ : ٢٩ / ١٠ / ١٤٢٤ هـ ، وقد استحسنها بعض الإخوة . مع أنها مرتجلة ، ولم يُعَد لها الإعداد المناسب . ورغبوا في أن تخرج مكتوبة ؛ ليعم الانتفاع بها ، ففُرِّغَتْ من الشريط ، وعُرِضَت عليَّ ، فنظرت فيها ، وهذبتها زيادة وحذفا بما يناسب المقام ؛ لتكتمل الفائدة ، والله المسؤول أن يجعل لها آذانا صاغية ، وقلوبا واعية ، تسمعُ القول فتتبع أحسنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

(نصُّ الكَلِمَة)

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيْمِ

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمدا عبده الكريم ، ورسوله الأمين ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين ، فصلوات ربي عليه، وعلى آله وأصحابه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليما كثيرا. أما بعد :

أيها الإخوة الكرام : وأيها الآباء الأفاضل ، نحمد الله تبارك وتعالى أولاً أن جمع بيننا في هذا اللقاء ، وفي هذا المسجد المبارك ، سائلين الله تعالى أن يجعلنا وإياكم ممن قال فيهم النبي ﷺ : (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده) ، ونسأله تبارك وتعالى أن يجعلنا وإياكم من ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولوا الألباب﴾ ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أيها الإخوة الكرام : الكلام كثير ، والوقت قصير ، ولكن هي إشارات فقط ، هُدًى وذكرى ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين ، وخير الكلام ما قلَّ ودلَّ ، ولم يَطلْ فيُمَل .

أيها الإخوة الكرام : إن الدين منْزلته عظيمة ، وقدره كبير في قلوب الناس ، وليس بالأمر الهين ، وحق لهم ذلك ، ولهذا قال العلماء : إن الشرائع جاءت بحماية وحفظ خمسة أمور ، هي الضرورات الخمس ، التي لا تستقيم الحياة إلا بها ، هذه الضرورات هي : الدين ، والنفس ، والعقل ، والعرض ، والمال ، ومن أجل ذلك أقيمت الحدود ، وشرعت التعزيرات .

فلأجل حفظ النفس حرمت الشريعة الاعتداء على النفوس بالقتل ، أو الضرب أو الجرح ، وأقامت حد القصاص ، وحد الحرابة ، وأوجبت الديات ، والكفارات ، ورغبت في حفظ النفوس ، حتى جعلت من قتل نفسا واحدة ـ بغير حق ـ فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحيا نفسا واحدة فكأنما أحيا الناس جميعا .

ولأجل حفظ العقل حرمت الشريعة تناول المسكرات ، وأقامت حد شرب الخمر .

ولأجل حفظ العِرض حرمت الزنا والقذف ، وأقامت في ذلك الحدود والعقوبات ، ورغبت في النكاح والاستعفاف .

ولأجل حفظ المال حرمت الشريعة الاعتداء على أموال الناس ، وأكلها بالباطل ، وأقامت حد السرقة ، ونهت عن الربا والميسر ، والظلم والغش في المعاملة ، ورغبت في التجارة المباحة ، والكسب الحلال .

۞ وأعلى هذه الضرورات هي ضرورة الدين ، لأنه لا قيام للناس ، ولا حياة للناس ، ولا سعادة للناس ، إلا به ، وأناس بلا دين هم شر الأنام ، وأضل من الأنعام ، كما قال تعالى : ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون﴾، وقال تعالى : ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ، ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ ، وفي الآية الأخرى : ﴿إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾ ، وفي سورة البينة يقول تعالى : ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها ، أولئك هم شر البرية﴾ أي شر الخليقة ، فلا أشر منهم .

ولأجل حفظ الدين نجد أن الله تعالى أوجب على كل مسلم ومسلمة طلب العلم ، وحرم الردة وأقام عليها الحد ، وشرع لعباده القتال والجهاد في سبيل الله جل وعلا ، ومن المعلوم أن القتال والجهاد في سبيل الله ـ جل وعلا ـ فيه إزهاق للنفوس ، وفيه بذل للأموال ، وربما انتهاك للأعراض ، وذهاب للعقول ، كل ذلك حماية للدين ، ولهذا يقول تعالى :﴿وقاتلوهم ﴾ أي الكفار ﴿حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله ﴾ ، ويقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم

من الكفار ﴾ ، ويقول : ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ ، ويقول: ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ .

فلما شرع الله تعالى القتال ، وفيه إزهاق للنفوس وبذل للأموال حفظا للدين دل ذلك على أن الدين أغلى وأعظم من النفوس ، والأموال ، والأعراض ، والعقول .

۞ ولما كانت العقول لا يمكنها أن تستقل بنفسها في إدراك هذا الدين ، ومعرفة شرع رب العالمين رحم الله العباد فبعث بهذا الدين أشرف الناس وأفضل الناس ، وهم الأنبياء والرسل ، بعثهم الله جل وعلا إلى الناس تترى ، وأنزل عليهم كتبه لهدايتهم ، وإخراجهم من ظلمات الكفر والشرك والمعاصي ، إلى نور الإيمان والتوحيد والطاعة ، فذلك من فضل الله تعالى على الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، ولو كان الناس يتمكنون من إدراك الدين ، وما يحبه الله ويرضاه من الشرع المبين بمجرد عقولهم وآرائهم ، ما كانت هناك حاجة لإرسال الرسل وإنزال الكتب ، وفي هذا يقول علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : (لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه) ، لأن أسفل الخف هو الذي يباشر الأذى والقذر ، فكان أولى بالمسح دون الظاهر ، ولكن الدين ليس بظاهر الرأي ولهذا كان المشروع في المسح على الخفين هو مسح أعلى الخف دون أسفله ، فالناس لا يستطيعون أن يدركوا الدين بمجرد عقولهم وآرائهم ، ولأجل هذا بعث الله تبارك وتعالى رسله متتابعين لهداية الناس ، وإخراجهم من ظلمات الكفر والمعصية ، إلى نور الإيمان والطاعة .

۞ ولما كانت سنة الله جل وعلا أن الأنبياء يموتون ، وأن الرسل يهلكون ، ولا يبقى منهم أحد، كما قال تعالى : ﴿ كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، أفإن مت فهم الخالدون ، كل نفس ذائقة الموت ، ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ .

۞ فلما كانت سنة الله ـ جل وعلا ـ في عباده أنه لا يخلد منهم أحد ، وما منهم من أحد إلا ويموت ، ومن ذلك الأنبياء والرسل ، كان من رحمة الله ـ جل وعلا ـ أن جعل لهم خلفاء يخلفونهم في حمل هذا الدين ، الذي لا تستقيم الحياة إلا به ، ولا تصلح أحوال الناس إلا به ، فمن رحمته

تعالى أن جعل لهم خلفاء ، وهم العلماء الربانيون الذين يحملون الكتاب والسنة لعامة الناس ، فهم ورثة الأنبياء ، كما أخبر بذلك النبي ﷺ حيث قال : (إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)، فذلك فضل الله جل وعلا يمتن به على الناس ، وإن كان أكثر الناس لا يعلمون ، فنحن نحمد الله تعالى أن جعل في أمة محمد ﷺ خلفاء ، وورثة يحملون هذا الدين ، ويخلفون أنبياءه ورسله في تبليغ شرع رب العالمين .

۞ وإنني في هذا المقام أريد أن أشير إشارة خفيفة لطيفة إلى بعض الأمور ، التي تتعلق بالعلم والعلماء ، والكلام في ذلك يطول ، ولكنني سأتكلم باختصار عن سُنَّتين وواجبين ، أما السُنَّتان فهما سُنَّتان كونيتان ، لا تتخلفان ، ولا تتغيران ، ولا تتبدلان .

السُنَّة الأولى : هي أن الله جل وعلا يبتلي عباده الصالحين ، ويمحص حزبه المؤمنين ، بل ويمتحن الناس أجمعين ، فلا يخلو أحد من الابتلاء فهي سنة لله جل وعلا ، حتى يتبين الصادق في إيمانه من المذبذب والكاذب في زعمه وادعائه : ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ ، كيف وقد أقسم الله تعالى في آيات عديدات على أن هذه هي سنته وأنها لن تتخلف ، ولن تتغير ، فقال جل وعلا مقسما : ﴿ولنبلونَّكم ﴾ أي والله ﴿ لنبلونكم ﴾ أي لنختبرنكم ﴿ بشيء ﴾ أي يسير ، لا بكلِّه ﴿ من الخوف والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله ، وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون﴾ ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا﴾ أي والله ﴿ لقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ ، وقال تعالى :﴿لتُبْلَوُنَّ في أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾، وقال تعالى : ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ ، وقال: ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ﴾ ، وقال : ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿وليمحص الله الذين آمنوا ، ويمحق الكافرين﴾ ، وقال تعالى : ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور﴾ ، فهذه سنة الله جل وعلا لن تتغير ولن تتبدل ، فمن كان صادقا في إيمانه صبر وثبت ، ومن كان كاذبا انقلب على وجهه ، وظهر على حقيقته ، كما قال سبحانه تعالى : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ أي على جانب وطرف ﴿ فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة

انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ .

ولأجل ذلك أوذي الأنبياء والرسل أذى شديدا ، فرماهم أقوامهم تارة بالجنون ، وتارة بالسفه والضلالة ، وتارة بالكذب والافتراء ، وتارة بالشر والسحر ، وتارة بالكهانة والشعر ، كما قال تعالى في نوح عليه السلام : ﴿ قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين ، قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ﴾ ، وقال في هود عليه السلام : ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة ، وإنا لنظنك من الكاذبين ﴾، وقال عن صالح عليه السلام: ﴿سيعلمون غدا من الكذاب الأشر ﴾ ، وقال عن محمد ﷺ : ﴿ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ، قل تربصوا فإني معكم من المتربصين﴾ ، وقال سبحانه : ﴿فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ﴾ ، وقال في موقف الكفار من رسلهم أجمعين : ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ ، وقال تعالى : ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ، فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾ ، وقبل ذلك قال سبحانه وتعالى عن رسله يقولون لأقوامهم : ﴿وما لنا ألا نتوكل على الله ، وقد هدانا سبلنا ، ولنصبرن على ما آذيتمونا ، وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ . فالأنبياء والرسل جرت عليهم سنة الله هذه ، فأوذوا وصبروا ، فكانت لهم العاقبة والظفر ، وانتصروا بإذن الله تعالى مصداقا لقوله جل وعلا : ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله لقوي عزيز﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿إن تنصروا الله ﴾ أي بنصرة دينه ﴿ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ .

ولكن هذا النصر لا يكون إلا بعد تمحيص وشدة وكرب ، كما قال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا ، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ ، وكما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا ، إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا﴾ إلى أن قال سبحانه : ﴿ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا﴾ ، فلم يسلم

الأنبياء ولا الرسل من الأذية ومن الابتلاء ، فكيف يسلم من هو دونهم من العلماء والدعاة إلى الله تعالى ؟

بل إن الله جل وعلا أوذي ، فنسبوا إليه الولد ، ونسبوا إليه الشريك ، وتارة نسبوه إلى البخل والفقر ، كما قال تعالى : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ ، وقال تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ، سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾ ، فربنا جل وعلا لم يسلم من الأذية ، حتى قال سبحانه وتعالى : ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ، وأعد لهم عذابا مهينا ، والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ ، وفي صحيح البخاري قال النبي ﷺ : (لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، يجعلون له الولد وهو يرزقهم ويعافيهم) سبحانه وتعالى ، فكيف بنا نحن ؟ فمن باب أولى وأولى أننا نؤذى ونبتلى ، وما علينا إلا أن نصبر ، كما صبر أولوا العزم من الرسل ، ولننتظر النصر والفرج من الله تعالى عما قريب ، فإن النصر مع الصبر ، وإن الفرج مع الكرب ، وإن مع العسر يسرا . فهذه هي السنة الأولى .

❁ **أما السُنَّة الثانية :** فهي أن الناس يخطئون ، فسنة الله في الناس أنهم لا يسلمون من الخطأ ، ومن ذلك العلماء ، فإنه لا يسلم عالم من الخطأ ، ولا إمام من الزلل ، فإن هذه سنة الله جل وعلا ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا ، وفي هذا يقول النبي ﷺ : (كل بن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون) ، وقوله ﷺ : (خطَّاء) صيغة مبالغة ، تدل على الكثرة أي كثير الخطأ ، فلم يقل يخطئ أو أخطأ أو مخطئ ، وإنما قال : خطَّاء أي كثير الخطأ ، فهو كقولك : فلان قتَّال أي كثير القتل ، وضرَّاب أي كثير الضرب ، بخلاف قولك : قاتل وضارب ، فإنه يصدق ولو على مرة واحدة ، فهذه سنة الله جل وعلا ، فما سلم لا الإمام أبو حنيفة ولا مالك ولا أحمد ولا الشافعي ولا من قبلهم من الصحابة والتابعين ، ولا من بعدهم من الأئمة المجتهدين ، فكل ابن آدم خطاء ، فليس الشأن في الخطأ فإنه سنة الله في خلقه ، وإنما الشأن في الإصرار على الخطأ بعد الوضوح والبيان ، ومخالفة الحق بغير حجة ولا برهان ، فهاتان سنتان .

❁ **وأما الواجبان :** فأولهما : واجب على العلماء ، وثانيهما : واجب على عامة الناس .

أما الواجب على العلماء : فهو من وجوه .

❁ **الوجه الأول** : يجب عليهم أن يتقوا الله جل وعلا ، وأن يتحروا الحق والصواب ، وأن يبذلوا وسعهم وطاقتهم ؛ لأجل الوصول إلى معرفة ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأحكام ، وأم يجتهدوا فيما لا نص فيه ، وهم بعد ذلك مأجورون ، أصابوا أم أخطأوا ، ومصداق ذلك قول النبي ﷺ : (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران) أي أجر على اجتهاده ، وأجر على إصابته الحق (وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر) أي على اجتهاده فقط ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، وإن رغمت أنوف أعدائهم البغاة الحاسدين ، والغلاة الحاقدين ، والجهلة المعتدين .

❁ **الوجه الثاني** : يجب عليهم إذا تبين لهم الخطأ أن يرجعوا عنه ، من غير خجل ولا استحياء ، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل ، ولهم أسوة حسنة بخاتم الأنبياء والرسل نبينا محمدﷺ كما ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي ﷺ مر بقوم يلقحون فقال : (لو لم تفعلوا لصلح) ، قال : فخرج شيصا ، فمر بهم فقال : ما لنخلكم، قالوا : قلت : كذا وكذا ، قال : (أنتم أعلم بأمر دنياكم) ، فهذا وسام شرف لهم ، يشهد لهم بالثقة والأمانة ، وحب الحق ونصرته ، وهذا مقام عظيم . أي التراجع عند الخطأ . لا تقدر عليه إلا النفوس الأبية ، ذات الهمم العلية ، وإلا فإن للنفس والشيطان في هذا المقام مداخل ونزغات ، لا يسلم منها إلا من رحم ربك ، وقليل ما هم . ولا يضر العالم ذلك شيئا ، فهذا الإمام الشافعي رحمه الله كان له مذهب بالعراق ، ثم تراجع عنه لما رحل إلى مصر، وهذا الإمام أحمد رحمه الله تُنقل عنه أقوال في المسألة الواحدة ربما تصل إلى سبعة أقوال ، وما ضرهم ذلك شيئا .

❁ **الوجه الثالث** : يجب عليهم إذا لم يتبين لهم وجه الحق والصواب ولا الراجح من الأقوال أن يتوقفوا ، ويكلوا العلم إلى الله ، ويقولوا : الله أعلم ، فإنها نصف العلم، وليس هذا بعيب، فهذا نبيناﷺ يُسْأَل عن أشياء فيسكت حتى ينْزل عليه الوحي ، وهذا عمر يسأل عن المسألة فيجمع لها أهل بدر ، وهذا الإمام مالك يسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب في شيء منها ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ثقة وأمانة ، وخوف من الله جل وعلا أن يقول عليه ما لا يعلم ، كيف وقد قال الله تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ ، وقال : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ ، بخلاف أصحاب الخنفشار الذين يجيبون عن كل شيء ، بل وقبل تمام السؤال ،

مما يدل على قلة علم بخطورة هذا المقام ، وقلة خوف من الله تعالى ، نسأل الله العافية والسلامة .

❁ وأما الواجب على عامة الناس فهو أيضا من وجوه :

❁ **الوجه الأول** : واجب عليهم أن يُحبوا العلماء ويحترموهم ويجلوهم ، ويعرفوا لهم قدرهم؛ لأنهم حملة الشرع ، الذي به صلاحهم في الدنيا والآخرة ، وأن ينشروا فضائلهم ومحاسنهم ، ومن ذلك علومهم ، الموجودة في كتبهم وأشرطتهم ، ودلالة الناس عليهم ، والدعاء لهم بالخير ، والتوفيق والسداد ، والأجر والمثوبة ، فإن عليهم واجبا كبيرا ، وحِمْلا عظيما ، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، قال الله تعالى : ﴿ ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ ، وقال النبي ﷺ : (لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا) ، وقال ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ، وقال ﷺ : (ليس منا من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه) .

❁ **الوجه الثاني** : يجب عليهم أن يكفوا عن مساويهم ، وأن يدفعوا عنهم أذى السفهاء ، وسفه الجهلاء ، من الذين زين لهم الشيطان أعمالهم ، فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ، بل يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، ممن جعلوا شغلهم الشاغل هو التنقيب عن أخطاء العلماء ، وزلات الفضلاء ، فيطيرون فرحا بزلة العالم ، ويموتون غيظا بإصابته الحق ، ممن لهم نصيب من قوله تعالى : ﴿ إن تمسسكم حسنة تسؤهم ، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ﴾ ، ﴿ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ﴾ ، يقول الله جل وعلا : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴾ ويقول النبي ﷺ : (من ذب عن عرض أخيه بالغَيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار) ، ويقول عليه الصلاة والسلام : (يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع عورته يفضحه ولو في جوف داره) ، وفي لفظ : (يا معشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ، ولا تعيروهم ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم يتتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله) ، وفي هذا يقول الشاعر :

شر الورى من بعيب الناس مشتغل ❁❁❁ مثل الذباب يراعي موضع العلل

وبهذا المعنى قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : (فإن الجاهل بمنزلة الذباب الذي لا يقع إلا على العقير ، ولا يقع على الصحيح ، والعاقل يزن الأمور جميعا هذا وهذا) .
فيجب الأخذ على أيدي هؤلاء السفهاء ، فكما أن الشخص لا يرضى أن يفتش أحد عن مساويه ، وينشرها على الملأ ، ولا أن يتكلم فيه ، أو في أمه وأبيه ، أو في زوجته أو ولده أو أخيه ، فمن باب أولى ألا يرضى بذلك في أهل العلم ، ورثة الأنبياء ، ونجوم السماء ، الذين يهتدي بهم الناس في الصباح والمساء ، وهذا لا يعني أن العالم لا يخطئ ، ولا أن يسكت عن الخطأ ، بل النصيحة واجبة للجميع ، ومن أحق الناس بها العلماء ، ففي صحيح مسلم عن تميم بن أوس الداري أن النبي ﷺ قال : (الدين النصيحة، قلنا : لمن يا رسول الله؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم) ، وأئمة المسلمين هم : العلماء ، والأمراء . ولكن النصيحة ليست من كل من هب ودب ، ولا ممن امتلأ قلبه بالغل والحسد ، فإن أمثال هؤلاء لا يصلحون لذلك ، وهم أولى بالاجتهاد في إصلاح أنفسهم .
كما قال الشاعر : ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ❁❁❁❁ فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ❁❁❁❁ عار عليك إذا فعلت عظيم
وإنما يكون ذلك من أهل العلم والفقه في الدين ، وأهل البصيرة بالكتاب والسنة ، أهل العدل والإنصاف ، وأهل الأدب والأخلاق ، ممن يعرفون الخطأ من الصواب ، والمسائل التي يسوغ فيها الاجتهاد والخلاف من غيرها ، (فإنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد)، وممن يصححون الخطأ دون تعدٍ على حرمات العلماء بالطعن في النيات تارة ، والتسفيه والتضليل والتبديع تارة أخرى ، خلافا لأقوام نَكِل أمرهم إلى الله تعالى بأن يهديهم ، أو يقصمهم ويريحنا من شرهم [١] .
ومن المعلوم أن الله تبارك وتعالى قد فاضل بين الأنبياء كما قال جل وعلا : ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا ﴾ ، وفاضل أيضا بين الرسل ، كما قال تعالى : ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى بن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس ﴾ ، ففاضل الله . سبحانه وتعالى . بينهم في المنزلة والشرف ، وفاضل بينهم حتى في العلم والفهم ، كما قال تعالى : ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ أي ولم نُفَهِّمْها داود مع أنه أبوه ، وليس هذا بقادح في داود ، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وكلا آتينا حكما وعلما ﴾ ، وهكذا العلماء . رحمهم الله . يتفاوتون في العلم والفهم ، وليس كل خلاف مذموما ، فما أكثر المسائل التي يجتهد فيها العلماء ، ويخالف

---

(١) والكلام هنا وفيما قبله في علماء السنة ، دون علماء البدعة كالرافضة والقبورية ونحوهم .

بعضهم بعضا ، فتتسع لذلك صدورهم ، ويعذر بعضهم بعضا فيها ، مع بقاء المحبة والمودة ، والأخوة والتواصل بينهم ، ومن ظن أنه هو الذي على الحق دائما وأبدا ، ويجب على الناس اتباعه ، وأن من خالفه فهو على باطل ، ويجب الحذر منه فقد أبعد النُّجْعَة ، وارتقى مرتقى صعبا ، وستكشف له الأيام خطأ فهمه ، وزلل فكره ، كما قال الشاعر :

سوف ترى إذا انجلى الغبارُ ❁❁❁ أفرس تحتك أم حمارُ

هذا وقد عظَّم الله من شأن العلماء ، فأعلى من قدرهم ، ورفع منزلتهم ، ونوه بشأنهم ، فشهد لهم بأنهم هم وحدهم أهل خشيته ، فقال عز من قائل : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ، ونفى مماثلة أهل العلم لأهل الجهل ، فقال تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكروا أولوا الألباب﴾ ، ورفع قدرهم ، فقال تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ ، وشهد لهم بأنهم الذين يعقلون عنه المثال ، ويفهمون عنه المقال، فقال تعالى : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾، وقال تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ .

رجال عظم الله من شأنهم وأعلى من قدرهم ، ومع هذا لا يخلو زمن من وجود بعض السفهاء ، وبعض الجهلة الذين يطعنون فيهم بلا حجة ولا برهان ، ولكنه الهوى والحسد ، والواجب على الناس ألا يسمعوا من أحد في علمائهم ، إلا بحجة وبرهان ، كما قال تعالى لليهود والنصارى حينما ﴿ قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾ فإن الله تعالى رد عليهم زعمهم هذا بقوله : ﴿ تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ ، فلا بد من الحجة والبرهان ، أما الأماني الفارغة ، والدعاوي الكاذبة فهذه لا تقدم شيئا ولا تؤخر ، وإنما هي بضاعة المفلسين ، وقد قال النبي ﷺ : (لو يعطى الناس بدعواهم لادعى أناس دماء رجال وأموالهم) ، وحينئذ تصير الأمور فوضى لا زمام لها ، ولِهذا حسم النبي ﷺ هذا الأمر بقوله : (ولكن البينة على المدعي) ، فلله الحمد والمنة .

ثم إن الطعن في العلماء والتنفير منهم هو حقيقة تنفير عن الدين ، لأن العلماء هم حملة الدين ، حملة الكتاب والسنة ، فإذا حذرنا منهم ، أو طعنا فيهم فإننا نبعد الناس عن دين الله جل وعلا ، لكن بطريقة غير مباشرة ، فإذا كانت النتيجة كهذه ، فماذا ننتظر بعد ذلك من الناس ، إلا أن يعيشوا كالبهائم ، يترأسهم أهل الجهل والسفه والضلال ، فيُسألون فيُفتون بغير علم ، فيَضِلون ويُضِلون ، كما هو الحال في هذا الزمن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

❁ **الوجه الثالث** : ومما يجب على العامة أيضا الاعتدال في العلماء ، فكما أنه لا يجوز القدح فيهم وتنقصهم والطعن فيهم ، فإنه لا يجوز أيضا الغلو فيهم ، وادعاء عصمتهم بلسان الحال أو المقال ، بحيث تقدم أقوالهم على الكتاب والسنة ، فيما تبين فيه الخطأ ، ومصادمته للنصوص الشرعية ، بل الواجب في هذه الحال تقديم كلام الله ورسوله على غيرهما ، كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾ ، ويُلتمس العذر للعالم ، بأنه لم يبلغه النص ، أو جاءه من طريق لا يثبت ، أو وجد عنده ما يعارضه ، ونحو ذلك من الأعذار ، إحسانا للظن به، إذ يبعد جدا أن يتقصد العالم مخالفة الكتاب والسنة، والواجب عند اختلاف أهل العلم الرجوع إلى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ امتثالا لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾ ، وقوله : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ ما كان من الأقوال أقرب إلى الكتاب والسنة عمل به، سواء وافق هذا العالم أم ذاك .

نسأل الله تعالى أن يفقهنا وإياكم في الدين ، وأن يصلح لنا القول والعمل ، وأن يأخذ بنواصينا إلى الحق ، ويهدي من ضل منا إلى سواء السبيل ، اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه : علي بن سالم بن يعقوب باوزير

من منشورات المركز العلمي والدعوي
حضرموت . غيل باوزير . معيان الشيخ

منشوراتنا تطلب من مكتبة القدس
حضرموت . غيل باوزير